

## الأساس الديني لدولة المرابطين دعوة عبد الله بن ياسين

يمكن اعتبار الدولة المرابطية مشروعاً للفقهاء المالكيين وجزءاً من صراعهم لفرض المذهب المالكي الذي بدأوه منذ قيام دولة الفاطميين بإفريقية، ويظهر ذلك جلياً في كل مراحل قيام حركتهم ودولتهم، ففي كل لحظة يحضر الهم المذهبي والحرص على استحضاره في كل التصرفات والقرارات.

### 1- يحيى بن إبراهيم الكدالي يبحث عن مرشد:

خرج يحيى بن إبراهيم الكدالي زعيم صنهاجة الجديد قاصداً حج بيت الله عام 429هـ / 1037م، وفي طريق عودته توقف بالقيروان وحضر بمسجدها دروس زعيم المالكية آنذاك أبي عمران الفاسي فأعجب به وتحدث إليه، فسأله الشيخ عن أهله وعن بلده وعن دينهم ومذهبهم فأجابه عن كل ذلك، ثم طلب من الشيخ أن يبعث معه أحد طلبته ليعلمهم أمور دينهم. فوعده الشيخ خيراً، ولما عرض الأمر على تلامذته لم يجد عندهم رغبة في الذهاب إلى الصحراء واستصعبوا العيش هناك، فاعتذر للزعيم الصنهاجي غير أنه حملة رسالة إلى أحد تلامذه بالمغرب الأقصى رجاء أن يجد عنده حاجته.

قصد يحيى الكدالي المغرب الأقصى ميمماً حيث نفيس أو ملكوس مقر إقامة وكاك بن زلو اللمطي تلميذ أبي عمران، وبعدما قرأ الرجل كتاب شيخه اختار له فقيهاً صنهاجياً جزولياً متحمساً اسمه عبد الله بن ياسين بعدما قبل السفر معه.

### 2- عبد الله بن ياسين في الصحراء يدعو:

لا نعرف عن الرجل إلا معلومات قليلة جداً. فهو من الناحية العرقية من جزولة إحدى قبائل صنهاجة الصحراء مما يقربه من أبناء عمومته. وربما كان - حسب بعض الروايات - من أبناء الصحراء وأنه ولد في مكان قرب أودغست. ولو كان هذا الأمر صحيحاً لكان قد سهل عليه مهمة التواصل مع الناس هناك وتحمل مشاق الحياة في الصحراء.

وتقول روايات إنه زار الأندلس طلباً للعلم وأقام بها سبع سنوات حصل خلالها علماً كثيراً، وعاد إلى المغرب والتحق برباط شيخه وكاك بن زلو اللمطي وأقام معه.

وابن ياسين فقيه على المذهب المالكي تقي ورع نبيه متقشف يفضل البعد عن السلطان، ويستنتج من تصرفاته أنه داعية بارع وخطيب جيد.

فرح الناس بقدمه وبجلوه، وكان يحي أشدهم تعظيماً له وفخراً به. فصار يعقد له مجلس الوعظ والتعليم ويدعو الناس إليه.

عمل الشيخ على تغيير منكر إهمال الشعائر وتجاوز الحدود في الزواج والزكاة وتعليم شعائر الدين وتأليف قلوب صنهاجة لتوحيدها. واستطاع استقطاب الطلبة من كل الأنحاء. وكان يلجأ إلى التدرج في التعليم حيث بدأ بالوعظ البسيط ثم انتقل إلى تفسير القرآن ورواية الحديث وتعليم الفقه. وكان يعطي بنفسه المثال بالتقشف في معيشته والاقتصار على لحوم الصيد البري والبحري والإكثار من العبادة وشدة الصبر والتحمل. وكانت حياته هذه مدعاة لنسج قصص جعلت منه ولياً حياً.

لكن بعض نزواته مثل الإكثار من الزواج والتطليق والمبالغة في العقاب وفرض الأحكام بصرامة ومس مصالح بعض الفئات في مجتمع صنهاجة خلقت مقاومة محلية تزعمها فقيه يسمى الجوهر بن سكم وزعيماً هما أيار وإينتكوا، فعزلوه وطرده ونهبوا بيته. ويرجح أن هذا الأمر حصل بعد موت يحي الجدالي وفقدانه حمايته وتعيين يحي بن عمر اللمتوني مكانه بمباركته مما أفقد جدالة الزعامة وأغضبها.

اختلف حول التصرف الذي رد به عبد الله بن ياسين، فقول يذهب إلى أنه عاد إلى شيخه وكاك الذي كتب إلى أهل جدالة يوبخهم ويحذرهم من مخالفة الداعية لأن ذلك مخالفة للدين والجماعة فأرجعه فاعتذروا له وأعادوه إلى مكانه وموقعه السابق. وقول يرى أنه رحل رفقة يحي بن عمر اللمتوني إلى جزيرة في وسط أحد أنهار المنطقة إما السنغال أو النيجر أو أحد مصبات

الأنهار الداخلية على هامش الصحراء، فبنى رباطا هناك وتفرغ للعبادة والتربية، وهذا هو الرأي الأرجح.

بدأ الرباط بجماعة لا تتجاوز عشرة أشخاص (2لمتونة- 7 جدالة - الشيخ)، فأخذهم الشيخ بتربية صارمة تقوم على التقشف في المعيشة (صيد) وكثرة العبادة والصلاة في الجماعة (5ضربات لكل تأخر عن ركعة - 20ض لكل صلاة) والتعلم وقلة الكلام ... فتسامع الناس بالرباط وتقاطروا عليه فلم يكن يقبلهم إلا بعد امتحان عسير. وبعد ذلك أرسل الدعوة إلى القبائل لدعوة رجالها للالتحاق بالرباط، فاجتمع له نحو ألف رجل من أشرف صنهاجة. وعند ذلك قرر الخروج بهم للجهاد.

بدأ الجهاد في أوساط القبائل حيث أرسل كل أبناء قبيلة إلى أهلهم للدعوة، ولما رفضوا حاربهم. وبدأ بجدالة وأخضعها (436هـ) ثم أتبعها ببربر جوار لمتونة وتغلب عليهم بعد حرب شديدة أطلق بعدها اسم المرابطين على أصحابه. ثم دخلت لمتونة ومسوفة ولمطة دون حرب، فصارت الدعوة دعوة صنهاجة ومسألة قومية لها مما ضخم الدعم وزاد منه. وكون جيشا من ثلاثين ألف رجل. وقام بحركات جهادية في أوساط السودان، وكان يبعث من مال الغنائم إلى طلبة وقضاة المصامدة، فزادت شهرته في المغرب والصحراء وبلاد السودان مما دفع أهل سجلماسة ودرعة إلى طلب مساعدته على التخلص من جور زناتة فاستجاب لهم. وهنا خرجت الدعوة من طابعها المحلي لتأخذ طابعا جهويا فبدأت بذلك الدولة المرابطية.

لقد نجح عبد الله بن ياسين في تحويل دعوة صغيرة في رباط مجهول إلى نواة دولة ستوحد مجمل أراضي المغرب.